التوازي الصوتي في سورة هود

د. منى زيدان ذياب صالح المشهداني

الملخص

يشغل التوازي في القرآن الكريم مكانةً متميزة، إذ إنَّهُ يُشكل ضابطاً إيقاعياً يتحقق من خلاله اتساق النص القرآني، فالتوازي يعبر عن جملة الانحرافات الأسلوبية(، التي يمكن استكناهها، والكشف عنها من خلالِ تقصي البنى النصية في القرآن الكريم.

والنص القرآني بما فيه من تجليات جمالية يحمل في طياته بُنى عدة منها المتغاير ومنها المتشابه، ومنها ما هو خليط بين هذا وذاك، من هنا اكتسب التوازي طابعه، إذ إنَّه وجد من خلال تلك البنى آليات اشتغاله، فهو نص لغوي يحمل خصائص بلاغية

فهذا البحث يسعى إلى رصد التوازيات الصوتية كافة في سورة هود لكونها تشكل ظاهرة متميزة، لها حضورها الفاعل داخل بناء السورة الكريمة.

فدراسة التوازي تنحو إلى البحث عن العلاقة بين التشكيل والدلالة، وكشف دور البُعد الصوتي والإيقاعي في إنجاز البعد الدلالي.

إن بنية التوازي الصوتي التي حفلت بها سورة هود الكريمة، كان لها اثر بارز في احداث حركة ايقاعية، ناتجة بفعل أساليب متنوعة كالتكرار بأنواعه (الحرفي والجملي) والتقابل الدلالي والتجانس الاشتقاقي مما أضفى توازناً صوتياً وتركيبياً فاعلاً في نص سورة هود الكريمة، أدى إلى استكناه الأبعاد الدلالية التي حملتها الآيات الكريمة.

بنية التوازي الصوتي

يشغل التوازي في القرآن الكريم مكانةً متميزة، إذ إنَّهُ يُشكل ضابطاً إيقاعياً يتحقق من خلاله اتساق النص القرآني، فالتوازي يعبر عن جملة الانحرافات الأسلوبية(١)، التي يمكن استكناهها، والكشف عنها من خلالِ تقصي البنى النصية في القرآن الكريم.

فالإيقاع يعتمد على ما تفرزه المادة الصوتية من إيقاعات مختلفة تختلف باختلاف الأصوات اللغوية، فالمادة الصوتية تكمن فيها طاقات تعبيرية هائلة(٢).

وتظهر فعالية هذه الأصوات من خلال تفجير طاقاتها التعبيرية، فالفونيمات الصوتية تشكل محوراً أساساً في الحركة الإيقاعية الناتجة عن تكرار هذا الفونيم أو ذاك في السياق الخطابي، وبتكرار هذه الفونيمات يُخلق ما يسمى بـ (التوازي الصوتي)(٣).

وعليه فالتوازي ليس ظاهرة جمالية، إنما يكتسب وظيفة بنائية تركيبية تستطيع أن ترفد النص بالتلاحم والترابط، وهذا يعني أن موضوع النص يتدخل مباشرة في تشكيل بنائه(٤).

والنص القرآني بما فيه من تجليات جمالية يحمل في طياته بُنى عدة منها المتغاير ومنها المتشابه، ومنها ما هو خليط بين هذا وذاك، من هنا اكتسب التوازي طابعه، إذ إنَّه وجد من خلال تلك البنى آليات اشتغالهِ، فهو "نص لغوي يحمل خصائص بلاغية"(٥).

إذن يمكن ملاحظة التوازي الصوتي من خلال الاتساق على المستوى التكراري، ما بين الحروف المكونة للعناصر اللفظية المشكلة للنصوص، لأنَّ التوازي يهتم بأية مشابهة أو اختلاف ضمن بنيات النص. وهذا لا يعني أن التكرار والتوازي يمثلان شيئاً واحداً، "إنما التكرار هو أحد تجليات التوازي الكثيرة، لأن التماثل هو قسيمهما المشترك، ربما يمثل التكرار أقصى درجة من درجات التوازي"(٦)

فالتوازي الصوتي يمنح الحروف قيمة مضافة لقيمتها الحقيقية، فبتكرار هذهِ الحروف يتجلى الدور الأساسي لتلك الأصوات في تحقيق الإيقاع المنشود(٧).

فهذا البحث يسعى إلى رصد التوازيات الصوتية كافة في سورة هود لكونها تشكل ظاهرة متميزة، لها حضورها الفاعل داخل بناء السورة الكريمة.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فدراسة التوازي تنحو إلى البحث عن العلاقة بين التشكيل والدلالة، وكشف دور البُعد الصوتي والإيقاعي في إنجاز البعد الدلالي(٨).

وقد رصد البحث توازياً صوتياً معتمداً على التقابل الدلالي في سورة هود، تجسد في المقابلة بين عذاب الكفار، ونعيم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(٩)، ثم أعقبها مباشرة وصف نعيم المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(١٠).

فالمتأمل لسياق الآيات الكريمة هذه يجد فيها حشداً من التوازيات الصوتية المعتمدة على المقابلة الدلالية بين الأضداد، وأولى صور التقابل الدلالي التي تم رصدها في سورة هود، ما نلمسه في الموازنة بين حالي الكفار والمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ ﴾. فالآيات الكريمة قدمت صورة واضحة السمات، باعتمادها على التضاد الدلالي الحاصل بين حالين مختلفتين، إلا أنهما متشابهان من حيث التوازي التركيبي القائم على مبدأ التوازن الصوتي الذي تتفق فيه الفواصل في الوزن دون الحرف(١١)، مما هيأ نوعاً من سرعة التتابع الناجم عن تكثيف الأفعال واختزال الصورة الكلية لكل طرف من أطراف التوازي المتضادة، وبذلك تتضح قيمة التوازن الصوتي.

وحصول التوازن الصوتي هذا بين هاتين البنيتين، أدى إلى حصول توازٍ دلالي، ساعد على جعل بنى التوازي متوازية تركيبياً أيضاً من خلال تكرار أسلوب الشرط في كلتا البنيتين، ويمكن توضيح بنية التماثل الصوتي من خلال المخطط الآتي(١٢):

(ف، و) حرف عطف + (أمّا) حرف شرط وتفصيل + (الذينَ) أسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ	+ (شَقوا) فعل ماض مبني على الضم +(سُعدوا) فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم+(الواو) ضمير متصل نائب فاعل	والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب
+ (ف) رابطة لجواب أمّا + (في النار، في الجنة) جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ الذين		

وتجدر الإشارة إلى أن بنية التوازي الصوتي في هذه الآيات الكريمة أسهمت إسهاماً فاعلاً في تكثيف دلالة النص.

وما قيل في هذا التوازي يقال في توازي التقابل الدلالي المتواشج مع تقنية

(اللف والنشر) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(١٣). فالتوازي في الآيات الكريمة تحقق من خلال بنية اللف التي مارست توازياً في ذاتها، إذ هي بنية نشر في مكانها، بيد أنها تغادر هذه الدلالة إلى دلالة اللف بمجرد ما تتحول العين إلى اللفظ الكريم، فهذه البُنى (اللف والنشر) متوالدة، فهي تشتغل في خطي التوازي معاً (اللف والنشر) لتحقق التشابه، ويمكن توضيح بنية التوازي هذه من خلال الخطاطة الآتية(١٤).

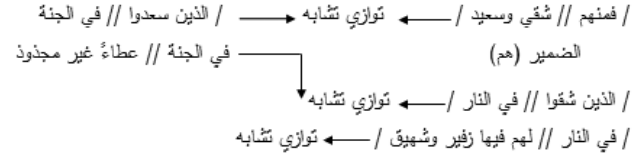

فالتقابل الدلالي في هذه الآيات المباركات قد ضم في ثناياه عدداً من الدلالات والأصوات أيضاً. فالتوازي الصوتي حصل بين (الذين سعدوا) و(الذين شقوا)، وبين (في الجنة) و(في النار)، فثمة توازن وانسجام بين هذه البنى تولد من خلال تقنية اللف والنشر.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ومن صور التوازيات الصوتية التي نرصدها في سورة هود ايضاً ما جاء على لسان قوم سيدنا شعيب (ع) في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾(١٥).

ثم أعقبها بقوله تعالى على لسان سيدنا شعيب (ع) جواباً عن قول قومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾٩٢﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾(١٦).

إنَّ سمة التوازي في هذه الآيات تتميز باختلافها عن التوازيات المرصودة سابقاً، إذ إنَّ التوازي هنا، لا يشبه ما لمسناهُ من التوازيات المعتمدة على التقابل أو التجانس، بل إنَّ التماثل الصوتي في هذه الآيات يتجلى في تعاقب الثوابت المتماثلة في الجذر اللغوي من جهة، وبين التكرارات المتتالية من جهة أخرى التي شكلت ظاهرة أسلوبية اقترنت بهذا النوع من التوازي المسمى (بالتجانس الاشتقاقي) ويقصد به "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة"(١٧). إذ يسهم هذا الترديد في تكثيف الدلالة الناتجة عن تكثيف التماثلات الصوتية، فالنصوص المتماثلة تدور حول نواة صوتية ودلالية واحدة، على الرغم من اختلاف الصياغة المتجسدة بين الفعل المضارع (تعملون) وفعل الأمر (أعملوا) وبين اسم الفاعل (عامل) هذا من جهة، وبين قوله: ﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ بصيغة النفي الضمني باستعمال أسلوب الشرط بالأداة (لولا) وهي حرف امتناع لوجود، والخبر (رهطك) ومبتدأه محذوف وجوباً تقديره (موجود) وضمير المخاطب (ك) المتصل في محل جر بالإضافة، وبين قوله: ﴿ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ ﴾ بصيغة الاستفهام الإنكاري، ولكن باستعمال أسلوب الاستفهام المجازي بـ (الهمزة) والمبتدأ (رهطي) وضمير المفرد المتكلم من جهة ثانية. وقد دل إحالة همزة الاستفهام إلى معنى النفي على أن الكلام واقع في الفاعل، لا في الفعل فكأنهم قالوا: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا، ولذلك قال في جوابهم: (أرهطي أعز عليكم من الله)، فكان مجيء هذا التركيب على هذه الهيئة مفيداً لمعنى الاختصاص(١٨).

فهذا التماثل الصوتي قد ضم تغايراً في الأساليب المستعملة في صوغ توازي الاشتقاق (التجانس الاشتقاقي)، ففي الآية الأولى حصل الانتقال في الأسلوب من أسلوب الحوار الذي قدم حكاية مجادلة قوم شعيب (ع) واعتراضهم له وعدم رجمهم له، لأنَّه منهم، إلى أسلوب التكلم بصيغة (ضمير المتكلمين) باستعمال النداء في تفضيل جماعته على الله – سبحانه وتعالى–.

فكان أسلوب النداء مقترناً بطلب هذه الأمور مجتمعة باستعمال أسلوب الشرط وأسلوب الاستفهام، بيدَ أنهما خرجا إلى معانٍ مجازية أفادت تضمنها أسلوب النفي.

ومما تقدم نجد أن مزيّة هذا التوازي المعتمد على بنية التجانس الاشتقاقي تظهر في تركيزه على حقيقة جوهرية واحدة تتمثل في إنكار قوم شعيب (ع) ونفيهم النبوة عنه، واللجوء إلى استعمال الجدال، وعدم فهمهم مطالبه، بترك عبادة الأوثان التي كان آباؤهم يعبدونها، والذي ساعد على ترسيخ هذه الحقيقة، تتابع أسلوب التكرار على اختلاف أنواعه بين حرف، واسم كما في تكرار (ما، يا النداء، إنَّا، أنَّ، إنِّي، علينا، عليكم، رهطُك، رهطي)، فقد ساعد هذا التكرار على تعزيز وحدة النص الكريم .

ومن الأساليب المهمة الأخرى التي شكلت ظاهرة بارزة في سورة هود، أسلوب التكرار، فالتكرار يقوم بتسليط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويساعد على اكتشاف اهتمام المتكلم بها، وهذا يعني أنَّ للتكرار دلالة نفسية تفيد الناقد الأدبي(١٩).

وقد حفلت سورة هود بأنواع مختلفة من التكرار سواء بالشكل أو النوع أو الأسلوب، مما شكل ظاهرة جديرة بالدرس، ومن أول تجليات أسلوب التكرار في سورة هود هو التكرار بالحرف، وهذا ما نجده في أول سورة هود في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾٧﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾٨﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ ﴾٩﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾(٢٠).

إن المتأمل في الآيات السابقة يجد أن الإيقاع فيها قد شكل الركيزة الأساس في تشكيل بنيتها الصوتية، وكان للتكرارات المتتالية أثرها الفاعل في دعم وتعزيز بنية الإيقاع هذه، وذلك عن طريق تكرار (الحروف، والكلمات، والجمل)، ولاسيما تكرار حرفي الشرط والقسم

(لئن) اللذين كررا أربع مرات، إذ إنَّ اجتماع الشرط والقسم كشف عن حقائق المخاطبين من إنكار وضعف وقصور نظر، وسرعة تسليم، لما يلم بهم، أو يواجههم، وما تحقق هنا في هذهِ الآيات كان انسجاماً كلياً لا جزئياً، وذلك بتكرار قوله (ليقولَنَّ) وما يوحي ذلك من تكرار التركيب النحوي المتجسد في:

لام التوكيد + الفعل المضارع + الفاعل (الضمير المستتر) + نون التوكيد .

وهذا أيضاً ما نجده في التكرار الآخر للجملة الفعلية (أذقنا الإنسان) و (أذقناه).

اذ تحقق ذات التركيب النحوي المتمثل في:

الفعل الماضي + الفاعل (نا المتكلمين) + المفعول به (الإنسان + الهاء).

وكذلك تكرار الجملة الاسمية.

(إنه ليؤوس كفور) و (إنه لفرح فخور) المتكونة من إنَّ (حرف التشبيه) + الهاء (اسم إنَّ) + لام التوكيد + الخبر.

فالتكرارات المتتالية هذه عملت على خلق نوع من التوازن الصوتي، مما أدى إلى احداث تناسق صوتي واضح على مدى الآيات الكريمة، فتكرار الحروف المتماثلة نفسها

(لام التوكيد + إن الشرطية)، فضلاً عن التكرار الجملي ذي التركيب نفسه، أدى إلى هيمنة التوازن الصوتي والتركيبي على هذه الآيات.

فكل هذه التكرارات جاءت لتحقيق الإيقاع، فقد حققت الفكرة المراد توصيلها إلى المتلقي والمتمثلة بعدم الإنكار، إذ إن تتابع الإنكار كان منطلقاً رئيساً لإيقاع حركة الشخصية التي جسدها الكافرون، فقد جاء أسلوبا الشرط والقسم المتتابع مناسباً لتلك الإنكارات التي مثلت أهم الأفكار والمبادئ التي سلط الأسلوب القرآني الأضواء عليها.

ومن أمثلة التكرار بالحرف ما نجده في قوله تعالى في قصة نوح (ع) وحواره مع قومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾٢٩﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾٣٠﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢١).

فمن الجلي للعيان أنَّ التكرار في هذهِ الآيات الكريمة تحقق عبر تنسيقات صوتية طالت أجزاء النص الكريم، اذ نرصد فيه ملمحاً صوتياً تمثل في شيوع ما يعرف بـ

(التكرار الحرفي) المتمثل بحرف النفي (لا)، الذي شكل عنصراً أسلوبياً مهيمناً، إذ إنَّ إصرار

النبي نوح (ع) على نفي مزاعم قومهِ على هذا النحو، وتأكيده أنَّه نبيٌّ مرسل من الله ـ سبحانه و تعالى ـ إليهم قد تحقق من خلال ترديد حرف النفي (لا) بكثافة عالية، بلغت (٦) مرات، هذا الترديد أعطى النص قيمة أسلوبية يظهر أثرها في ما يتصل بها من أفعال وأسماء، فضلاً عن تكرار حروف أخرى إلى جانب (لا) النافية مثل (إنْ، يا النداء، على، إنَّ)، فضلاً عن تكرار الجملة الفعلية المتصلة بحرف النفي (لا) نفسها (أقول)، إذ ترددت (٣) مرات، ويمكن توضيح هذا التكرار من خلال المخطط الآتي:

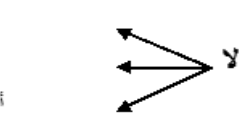

هذا التكرار قد أفاد خصيصة تنظيمية من خلال التدرج في تكرار الجمل، وارتباطها دلالياً بنفي كل الشبهات التي أوردوها تفصيلاً، وذلك من قبيل النشر المشوش ثقة بعلم السامع وتخلل ما تخلل بين شبههم وجوابها ، لأنه مقدمة وتمهيد للجواب(٢٢)

وهذا واضح من خلال قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾(٢٣). إذ فيها إثبات لنبوته (ع).

وعليه فثمة تآلف وانسجام بين أسلوب النفي، وتبادل الضمائر الحاصل بين ضمير المتكلم في الفعل (أقول) وضمير المخاطبين في (أسألكم، لكم، أعينكم)، وهذا من أهم خصائص الأسلوب المعجز، الذي تميز به القرآن الكريم.

فهذا التكرار المتتابع لحرف النفي (لا) لم يأت اعتباطاً، بل له مسوغه الدلالي، الذي تحقق بفعل طبيعة الموضوعات التي تقدمها الآيات الكريمة، التي جاءت متناسبة مع الحدث المخصوص، وكل هذه التكرارات لم تكن اعتيادية، فقد كشفت حقيقة قوم نوح (ع)، وبينت أسباب رفضهم دعوته، فاستعمال القرآن الكريم (لا) يعبّر عن نفي نوح (ع) مزاعم قومه، جاء متناسباً بشكل واضح مع أسلوب النشر الذي يعد من الفنون البديعية التي تحدثنا عنها سالفاً، فتكرار الفعل (اقول) في قوله تعالى: (أقول لكم عندي خزائن الله، أقول إني ملكٌ، أقول للذين تزدري أعينكم)، جاء بها الأسلوب القرآني مرتبة ترتيباً دقيقاً رداً لقول قوم نوح (ع) عليه: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾(٢٤). وهذا أضفى جمالية إيقاعية على توضيح ما جرى بين نوح (ع) وقومه من أحداث.

ومن الأمثلة الأخرى للتكرار بالحرف، الذي شكل ظاهرة بارزة في سورة هود، التكرار بالحرف (ألا) الاستفتاحية(٢٥)، وهي حرف تنبيه واستفتاح، وقد جاء توظيفه في سورة هود في طريقة من طرائق ردّهم على حرص الرسول (ص) ورقته، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٢٦).

فكل ما يخفونه ويدبرونه إنما هو دليل على جهل وقصور نظرهم، لأن علم الله احاط بكل شيء، فتكرار (ألا) في هذه الآية مرتين جاء مخصوصاً لتوضيح هذا الغرض وهو التنبيه على سعة علم الله بكل ما يقوله ويفعله العباد سواء اكان سراً أم علانية.

وقد تكررت ألا مرة ثالثة في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(٢٧)، فقد أكد الله -سبحانه وتعالى- تحقق وقوع العذاب بالكافرين، وذلك استناداً إلى دليلين هما: الاستفتاح بـ (ألا) والفعل الماضي (حاق) الذي يؤكد تحقق فعل المستقبل وأن العذاب آتيهم لا محالة(٢٨).

أما التكرار الرابع لـ (ألا) فقد كان في قوله تعالى الذي جاء بعد قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٢٩) إذ إن ذكر الظلم والظالمين لم يأت إلا بعد ظهور البينة من القران الكريم نفسه، ومن سكوتهم ازاء تحديه لهم، ومن احالتهم إلى كتاب موسى (ع)، الذي أشير فيه إلى دعوة الرسول الكريم (ص).

وتجدر الإشارة إلى أننا وجدنا تكراراً آخر لهذه الأداة في غير الآيات السابقة، وذلك في ختام قصص الأنبياء (هود وصالح وشعيب) إذ تم التنبيه فيها على المصير السيء الذي صارت إليه (عاد وثمود ومدين) وكان فيها المبالغة والتهويل والإنكار والتحذير من مثل حالهم في قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾(٣٠)، ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾(٣١)، ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾(٣٢).

فتكرار ألا في هذه الآيات لم يأت اعتباطاً، بل له مسوغه الدلالي أي تنبهوا أيها المعاندون على المصير الذي صار إليه أمثالكم واعتبروا من التهديد بالعذاب وقد تحقق وانتهى به غيركم ممن كفروا وعتوا وبطروا في الأرض، فضلاً عن تكرار المصدر (بعداً) ثلاث مرات، مما أضفى على الآيات تناسقاً صوتياً، إذ إن في إصرارهم على الكفر وتحديهم وعنادهم لرسل الله ما جعلهم يستحقون هذا المصير السيء الذي انتهوا إليه. كما إننا نلحظ توازياً صوتياً تحقق من خلال التكرار الحرفي في قوله : (ألا إنّ) والتكرار الجملي في قوله (كفروا ربهم) الذي يمكن اختزاله بالشكل الآتي:

(كفر) فعل ماض + (واو الجماعة) فاعل + (رب) مفعول به وهو مضاف + (هم) مضاف إليه.

وكذلك نجد توازياً صوتياً آخر تم تحققه في التركيب (ألابعداً) الذي تكرر ثلاث مرات، والذي خلق توازناً صوتياً جديداً في بنية هذه الآيات والذي يمكن اختزاله بالشكل الأتي:

ألا (حرف استفتاح) + بعداً (مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره بعد)، بيد أن البحث رصد خرقاً نحوياً في الآية الأولى وذلك

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بقوله (لعاد قوم هود) ، إذ إن الحق – سبحانه وتعالى– خصّ عاد بقوم هود. ولهذا الاختصاص مسوغهُ، إذ إن ذلك يعني ان اللعنة والعذاب كانت معدّة لهؤلاء القوم لا غيرهم.

وإذا ما انتقلنا إلى التكرارات الأخرى في سورة هود على اختلاف أنواعها فسنجد حشداً هائلاً منها، وسنرصد تكراراً حرفياً تواشج مع تحقق التوازي الصوتي في بناء قصص السورة الكريمة، وقد تمثل ذلك في فاتحة القصص وخاتمتها، وفي ترابطها مع بداية السورة ونهايتها، ويمكن توضيح ذلك من خلال فاتحة السورة وخاتمتها، على النحو الآتي:

أ- الافتتاح-

فقد بُدئت قصص السورة بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٣٣).

و﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً .... ﴾(٣٤).

و﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً.... ﴾(٣٥).

و﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ.... ﴾(٣٦).

و﴿ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً .... ﴾(٣٧).

و﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ۚ .... ﴾(٣٨).

و﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٣٩).

إن التكرار هنا قد حصل في التراكيب (جاءت رسلنا) و(لقد أرسلنا)، وكذلك تكرار الحرفين (إلى ، لقد)، اللذين وردا ثلاث مرات، مما أحدث نوعاً من التوازن الصوتي والتركيبي، إذ إن الموازنة تعني "أن تكون الألفاظ متساوية أو متعادلة في الوزن ومتتالية الأجزاء"(٤٠). فهذه التكرارات المتتالية على الرغم من تنوعها واختلافها، إنما جاءت لغرض دلالي مقصود، إذ إنها تؤكد حقيقة واحدة مفادها أن إرسال الأنبياء (عليهم السلام) كان بأمر آمر واحد هو الله عز وجل.

فمن الجلي للعيان أنَّ هذه القصص قد تكررت فيها جملة الافتتاح نفسها، بيدَ أنَّ الاختلاف الحاصل هو في حذف (قد) والفعل، وتأخير المنصوب، وتقديم الجار والمجرور من قصة هود وصالح وشعيب (ع)، كما اختُلف افتتاح قصة إبراهيم (ع) لاختلاف المرسلين والمرسل إليه وسياق الإرسال.

أما في افتتاح قصة لوط (ع) فقد أبدلت (لما) بـ (قد)، وذلك "لتوقيت وصول الرسل بما بادر إليه قوم لوط من سوء، استعجالاً ناسب إسراعهم إلى العذاب الذي نالهم"(٤١).

أما جملة افتتاح قصة موسى (ع)، فقد عطفت على قصة نوح (ع)، بيدَ أنَّ موسى (ع) أُرسِلَ إلى فرعون وملئهِ ومن دون حذف أو تقديم و تأخير.

ب- الخاتمة-

أما خاتمة هذه القصص فقد انتهت أحداثها بجملة العذاب نفسها في قوله تعالى:-

و﴿ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ..... ﴾(٤٢).

و﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا..... ﴾(٤٣).

و﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾(٤٤).

و﴿ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا..... ﴾(٤٥).

وفي خاتمة السورة قوله تعالى: ﴿ ..... لَمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾(٤٦).

إذ تكررت الجملة بالتركيب نفسه، ولاسيما تكرار جملة (جاء أمرنا) التي تكررت (٥) مرات، إشارة إلى القصص الموجودة في السورة المتشابهة في أحداثها وهي (الدعوة إلى عبادة إله واحد، ورفض الدعوة من أقوام هؤلاء الأنبياء، والعذاب الذي حلَّ بهؤلاء الأقوام).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وتكرار جملة (جاء أمرنا) الكبير هذا له مسوغه، إذ إنه أحدث نوعاً من التوازن الصوتي في هذه الآيات مما أضفى نوعاً من التناسق الموسيقي على البنية الصوتية المتكونة بفعل هذا التكرار، فتكرار هذا المجيء يوحي بشدة الأمر وفداحته، فخاتمة هذه القصص جاءت متناسبة مع ما فعله أقوام الأنبياء، فهذا التكرار فيه الترهيب من هول المصير المؤلم الذي استحقوه.

فقد حصل تطابقٌ واضحٌ في هذه الآيات بين الألفاظ والمواقع والتراكيب، التي جاءت على نسق واحد، مما أفضى إلى حصول تناسق كلي بين هذه الوحدات، من خلال تكرار عبارة (جاء أمرنا)، الذي حقق تكرار التركيب النحوي المتمثل في:

أداة عطف + أداة شرط غير جازمة (ظرف زمان) + فعل ماضٍ (فعل الشرط) + فاعل (اسم ظاهر) وهو مضاف + (نا) ضمير المتكلمين مضاف إليه + فعل ماضٍ (جواب الشرط)+(نا) فاعل + مفعول به(اسم ظاهر).

وعلى الرغم من تتالي التكرارات مثل عبارة (لما جاء) وتكرار كلمة (أمرنا)، لم يمنع هذا من حصول بعض الاختلاف في استعمال الأحرف التي بُدئت بها خاتمة هذه القصص، إذ إننا نجد أنَّ قصة نوح (ع) قد اختتمت بـ (حتى إذا) مختلفة عن سائر القصص، إذ إنَّ (حتى) حرف يفيد انتهاء الغاية (٤٧)، وذلك لجعل غاية استمرار السخرية بمجيء الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾(٤٨)، فالسخرية إذن مستمرة بين الطرفين حتى مجيء العذاب، وهذا يدل على صبر سيدنا نوح (ع)، وإصراره على مواصلة العمل في السفينة التي كانت وسيلة للنجاة محلاً للسخرية والاستهزاء سابقاً.

ومما تقدم نجد أنَّ مجيء (حتى إذا) كان مناسباً للمعنى المختلف، أما (لما) التي تكررت في البقية فهي تفيد توقيت النجاة بمجيء الأمر، وهو هلاك المعاندين وعذابهم الدنيوي.

أما الاختلاف الآخر فقد حصل باستعمال (الفاء) قبل (لما) في قصتي صالح ولوط (ع)، وذلك لأنَّ مجيء الأمر عقب التمتع بالديار ثلاثة أيام من دون تراخٍ، أو مهلة زمانية في عذاب قوم صالح (ع) الذي يبتدئ من الصباح عقب الليل مباشرة في عذاب قوم لوط (ع)، أما الواو قبل (لما) في قصتي هود وشعيب (ع)، فلأنَّ المراد الجمع بين الخبرين من دون ذكر، ما يقلل الزمان بين الفعلين(٤٩)، (جاء أمرنا ونجينا).

فتكرار مجيء الأمر على هذه الصورة ، له مسوغه الدلالي، فالأمر واحد الأمور أو الأوامر، ونسبة المجيء إليه مجازية، والمراد لما حان وقوعه ، ولا حاجة إلى تقدير الوقت مع دلالة (لما)(٥٠)، ومعنى الأمر في الآيات هو العذاب، وهو مصدر (أَمَرَ) وقد جاء مضافاً إلى الضمير (نا) العائد إلى الله ـ سبحانه و تعالى ـ ، فمجيء الأمر بهذا الشكل فيه تفخيم وتهويل.

وهذه الدلالة المجازية لمجيء الأمر على هذه الهيئة تلقي ظلالاً خفية موحية تتناسب مع أجواء السورة، فكل حياة يعقبها موت، وكل بداية يعقبها نهاية، وكل تباهٍ وغرور وبطر يعقبه عقاب ودمار، وفي هذه (القصص) عبرة وعظة للأقوام الأخرى، فمصير المؤمن الجنة، ومصير الكافر النار، فهذا كله يتناسب تناسباً تاماً مع صحة عقيدة البعث والنشور(٥١).

وبذلك تحول تكثيف زمن العذاب من دلالته الخاصة إلى فلسفة عميقة الأثر في أنَّ مرجع كل شيء إلى الله –جل جلاله–، وهو القادر على إحيائه وإماتته.

ومن الأمثلة الأخرى على التكرار في سورة هود الكريمة، تكرار المعاني والألفاظ ، فقد تكررت المعاني في هذه السورة الكريمة بشكل لافت للنظر وخير ما يمثل ذلك في سورة هود، تكرار دعوة الأنبياء (عليهم السلام) إلى عبادة الله – سبحانه وتعالى – واستغفاره والتوبة إليه، فقد ذكرت العبادة في مقدمة السورة وتكررت بأساليب متعددة ، كما ذكرت في قصص الأنبياء، وبالتركيب نفسه، إذ قال تعالى: ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾(٥٢).

وقال: ﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾(٥٣).

و﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾(٥٤).

و﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(٥٥).

و﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِيَّ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾(٥٦).

و﴿ ..... فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٥٧).

أما طلب الاستغفار والتوبة فقد ورد في الآيات الآتية:

و﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(٥٨).

﴿ ..... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(٥٩) .

و﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(٦٠).

فهذه الآيات الكريمة فيها إشارة إلى تقدم العبادة وتكررها ففي، الآية الأولى والثانية جاءت بعبارة النهي عن عبادة غير الله، وذلك في نهي قوم الرسول الكريم وقوم نوح (ع)، وفي أسلوب الأمر في دعوة هود وصالح وشعيب (عليهم السلام)، وقد كان رد قوم صالح وشعيب (عليهما السلام) أمر العبادة بإصرارهم على مواصلة عبادة ما يعبد اباؤهم وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾(٦١) وقوله: ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾(٦٢).

ويُنهى الرسول (ص) عن الشك أدنى شك في ما يعبد هؤلاء الكفار، ما يعبدون إلا الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾(٦٣) وهو تقليد أعمى ورثوه من غير تفكير وتدبر، وقد تكرر أمر العبادة في خاتمة السورة في قوله تعالى: (فاعبده وتوكل عليه).

أما الاستغفار والتوبة فقد وردا في صيغة الأمر وبينهما (ثم) ومتبوعان بثواب يناسب الاستغفار في أربعة مواضع: في خطاب الرسول ( ) قومه، وفي قول هود وصالح وشعيب (عليهم السلام) وهذا ما أكدته الآيات السابقة.

ومن الأمثلة الأخرى على التكرار في سورة هود، تكرار لفظة الظلم وبصيغ متنوعة ، إذ تكررت هذه المفردة ثلاث عشرة مرة موزعة على أجزاء السورة ويمكن توضيح هذا التكرار بالشكل الآتي:

أولاً: في مقدمة السورة، إذ ذكرت فيها مكررة ملازمة للافتراء والكذب وفي آية واحدة من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٦٤).

وقد جاء لفظ (الظالمين) في آخر الآية بدلاً من لفظ (الكاذبين)(٦٥) الذي تبادر إلى الذهن لكنه عدل إلى لفظ (الظالمين) ليؤكد (الظلم) في أول الآية وليوضح المقصود بـ

(الظالمين) بعدها في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾(٦٦).

فمجيء لفظة الظالمين متناسبًا مع الاسم الموصول (الذين)، وقد أكد هذا التناسب الضمير (هم).

ثانياً: في قصص السورة إذ وردت هذه اللفظة في قصة نوح (ع) ثلاث مرات الأولى على لسانه في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٦٧)، والثانية في قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(٦٨)، والثالثة في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٦٩)، الذين ابعدوا من رحمة الله لتمكن الظلم منهم تمكناً منعهم من التوبة وقد ظلموا أنفسهم فاستحقوا الاستئصال بالهلاك.

وتكرر اخذ الظالمين بالجملة نفسها في قصتي صالح وشعيب (عليهما السلام)، في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ ﴾(٧٠)، وقوله: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ ﴾(٧١).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فقد جاءت الآيتان متوازنتان صوتياً وتركيباً، إلا أن هناك خرقاً نحوياً في الآية الثانية، جاء مقصوداً، إذ أنث عذاب قوم شعيب لأن التأنيث(٧٢) تكرر في سورة الأعراف (الرجفة)(٧٣)، وفي سورة الشعراء (الظلة)(٧٤) ، وفي سورة هود (الصيحة). ويمكن اختصار التركيب النحوي بالشكل الآتي:

(و) حرف عطف (اخذ) فعل ماض مبني على الفتح + فاعل ضمير مستتر تقديره (هو) + (الذين) اسم موصول م . به + ظلموا الصيحة جملة فعلية صلة الموصول لا محل لها من الاعراب.

ووردت لفظة الظالمين في تهديد المخاطبين بعذاب قوم لوط عليه السلام في قوله: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٧٥) والمقصود بها؛ أي: ظالمين في كل زمان ومكان(٧٦) .

ثالثاً: في خاتمة السورة وقد احتوت تكرار (الظلم) ست مرات . خمس منها في كون الظلم سبباً في اهلاك المعاندين المذكورين في القصص، إذ كان أخذهم بقوة تناسب ظلمهم لأنفسهم ولارتكابهم الفواحش وإتباعهم الظالمين والانحراف وغياب العدل، في قوله تعالى:

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾(٧٧) و﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٧٨) و﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (٧٩) و﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾(٨٠).

أما التكرار الأخير ففي قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾(٨١) وقد جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٨٢)، إذ نجد في أمر الاستقامة هذا والنهي عن الركون إلى الذين ظلموا غاية في المبالغة وقد وجها إلى الرسول الكريم (( ) ومن معه، وفي سياق جاء بعد تكرار ذم الظلم واهله وفي كونه سبباً لاهلاك المعاندين وكان محوراً من محاور السورة في مفتتحها وقصصها وخاتمتها، فذلك كله يلفت النظر ويوجب التأمل ويرسخ العبرة من الظلم والحذر من الظالمين.

ومما تقدم نجد ان بنية التوازي الصوتي التي حفلت بها سورة هود الكريمة، كان لها اثر بارز في احداث حركة ايقاعية، ناتجة بفعل أساليب متنوعة كالتكرار بأنواعه (الحرفي والجملي) والتقابل الدلالي والتجانس الاشتقاقي مما أضفى توازناً صوتياً وتركيبياً فاعلاً في نص سورة هود الكريمة، أدى إلى استكناه الأبعاد الدلالية التي حملتها الآيات الكريمة.

الهوامش

(١) ينظر: التوازي في القرآن الكريم، وداد مكاوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات/جامعة بغداد، ٢٠٠١/٣.

(٢) علم الاسلوب- مبادئه وإجراءاته - /٢٧

(٣) ينظر: مستويات الخطاب في القصة القرآنية /٧٧. (أطروحة سابقة).

(٤) ينظر: ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء، موسى ربابعه، مجلة دراسات، مج ٢٢ (أ)، ع٥، ١٩٩٥/٢٠٣٣.

(٥) مستويات الخطاب في القصة القرآنية / ٧٤ (أطروحة سابقة).

(٦) الأسلوبية الشعرية، قراءة في شعر محمود حسن إسماعيل، عشتار داؤد محمد/ ٥٩.

(٧) ينظر: التوازي في شعر يوسف الصائغ واثره في الايقاع والدلالة، سامح الرواشدة، مجلة ابحاث اليرموك، مج ١٦، ع٢، ١٩٩٨/١١.

(٨) ينظر: م.ن/١١

(٩) سورة هود، الآيات: (١٠٥-١٠٧).

(١٠) سورة هود، الآية: (١٠٨).

(١١) ينظر: معجم البلاغة العربية، مج٢/٩٢٢.

(١٢) ينظر: الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة: محمود صافي/٣٥٤-٣٥٥

(١٣) سورة هود، الآيات: (١٠٥-١٠٨).

(١٤) ينظر: التوازي في القرآن الكريم /٢١٧. (أطروحة سابقة).

(١٥) سورة هود، الآية: (٩١).

(١٦) سورة هود، الآية: (٩٢-٩٣).

(١٧) التعريفات /٢٢.

(١٨) خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- / ١٨٠.

(١٩) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة /٢٧٦.

(٢٠) سورة هود، الآيات: (٧-١٠).

(٢١) سورة هود، الآيات: (٢٩-٣١).

(٢٢) ينظر: روح المعاني ١١ /٣٣٧.

(٢٣) سورة هود، الآية: (٢٨) .

(٢٤) سورة هود، الآية: (٢٧)

(٢٥) حرف يبتدأ به الكلام يدل على تحقق ما بعده مكون من همزة الاستفهام و (لا) النافية، ولا محل لها من الاعراب . ينظر : الكتاب ٤/ ٢٣٥ والمغني / ٧٢٧١ .

(٢٦) سورة هود، الآية: (٥).

(٢٧) سورة هود، الآية: (٨).

(٢٨) ينظر: التكرار في سورة (هود) عليه السلام / ٧١.

(٢٩) سورة هود، الآية: (١٨).

(٣٠) سورة هود، الآية: (٦٠).

(٣١) سورة هود، الآية: (٦٨).

(٣٢) سورة هود، الآية: (٩٥).

(٣٣) سورة هود، الآية: (٢٥)

(٣٤) سورة هود، الآية: (٥٠).

(٣٥) سورة هود، الآية: (٦١).

(٣٦) سورة هود، الآية: (٦٩).

(٣٧) سورة هود، الآية: (٧٧).

(٣٨) سورة هود، الآية: (٨٤).

(٣٩) سورة هود، الآية: (٩٦).

(٤٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٣/٣٢١.

(٤١) التكرار في سورة هود /٧٢.

(٤٢) سورة هود، الآية: (٥٨).

(٤٣) سورة هود، الآية: (٦٦).

(٤٤) سورة هود، الآية: (٨٢).

(٤٥) سورة هود، الآية: (٩٤).

(٤٦) سورة هود، الآية: (١٠١).

(٤٧) ينظر: المغني /١٣١.

(٤٨) سورة هود، الآية (٣٨).

(٤٩) ينظر: درة التنزيل /٢٣٤-٢٣٦. روح المعاني ١١ /٤٤٧-٤٤٨.

(٥٠) ينظر: روح المعاني ٣٩٢/١١.

(٥١) ينظر: قصص من القرآن، محمود زهران/٢٢٠.

(٥٢) سورة هود، الآية: (٢).

(٥٣) سورة هود، الآية: (٢٦).

(٥٤) سورة هود، الآية: (٥٠).

(٥٥) سورة هود، الآية: (٦١).

(٥٦) سورة هود، الآية: (٨٤).

(٥٧) سورة هود، الآية: (١٢٣).

(٥٨) سورة هود، الآية: (٣).

(٥٩) سورة هود، الآية: (٦١).

(٦٠) سورة هود، الآية: (٩٠).

(٦١) سورة هود، الآية: (٦٢).

(٦٢) سورة هود، الآية: (٨٧).

(٦٣) سورة هود، الآية: (١٠٩).

(٦٤) سورة هود، الآية: (١٨).

(٦٥) إذ ورد لعن الكاذبين في سورة آل عمران، الآية (٦١) وفي سورة النور ، الآية (٧) .

(٦٦) سورة هود، الآية: (١٩).

(٦٧) سورة هود، الآية: (٣١).

(٦٨) سورة هود، الآية: (٣٧).

(٦٩) سورة هود، الآية: (٤٤).

(٧٠) سورة هود، الآية: (٦٧).

(٧١) سورة هود، الآية: (٩٤).

(٧٢) ينظر: درة التنزيل / ٢٢٣ -٢٢٥.

(٧٣) سورة الأعراف، الآية: (٧٨).

(٧٤) سورة الشعراء، الآية: (١٨٩).

(٧٥) سورة هود، الآية: (٨٣).

(٧٦) ينظر : تفسير المنار ١٢ / ١٣٨.

(٧٧) سورة هود، الآية: (١٠١).

(٧٨) سورة هود، الآية: (١٠٢).

(٧٩) سورة هود، الآية: (١١٦).

(٨٠) سورة هود، الآية: (١١٧).

(٨١) سورة هود، الآية: (١١٣).

(٨٢) سورة هود، الآية: (١١٢).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2